الفلسطينية والقوى الفلسطينية، المنظمة والعفوية، وفي مقدمها القيادة الفلسطينية في منظمة التحرير الفلسطينية و«فتح»، وغاب عن هؤلاء البناء الدؤوب الذي قامت به هذه القيادة، ليس فقط في بناء القوة العسكرية الفلسطينية وفي القتال ضد العدو الصهيوني، وانما، ايضاً، في بناء المؤسسات الفلسطينية والتنظيمات الاجتماعية والثقافية؛ والأهم من ذلك الحرب من اجل الاستقلال وضد محاولات فرض الوصاية والتبعية والالحاق والضمّ، حتى ولو جاءت مغلّفة بدعاوى قومية، أو أممية، وكان ثمنها غالياً الى درجة أن بعض معارك الدفاع عن الاستقلال تمّ خوضه، للأسف، على أرض عربية وفي مواجهة محاولات مستمرة لانكار الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة.

وليس هنا مجال تفصيل انجازات الانتفاضة؛ ولكن من الضروري تنبيه أولئك الذين غاب عنهم، في الماضي، البناء الفلسطيني على غير الساحات العسكرية، ويغيب عنهم، الآن، الجانب المسلح والعنيف للانتفاضة الفلسطينية، ان الانتفاضة هي الحلم الذي سعى اليه الروّاد منذ البداية، أي الحلم بأن يشارك الشعب كله، كل في مجاله وموقعه، في الحرب من أجل استقلال فلسطين.

لقد شهدت سنوات ما قبل الانتفاضة الكثير من البناء والتنظيم، كما شهدت الكثير من العمليات العسكرية. ويمكن للباحثين حصر هذه العمليات العسكرية المستمرة على مدى السنين، على الرغم من كل القيود، والمنشورة في جداول موثّقة، وباعتراف العدو الصهيوني نفسه. ويمكن، في هذه الحالة أيضاً، عقد مقارنات، حيث لا تجوز المقارنة بين عدد «العمليات» التي اعترف بها العدو الصهيوني في العامين الاولين للانتفاضة وبين مثيلاتها في السنوات السابقة.

ومع استبعاد التظاهرات والاضرابات العامة (وقد ورد ذكرها من قبل)، يمكن المقارنة بين عدد العمليات العسكرية التي وقعت في العام ١٩٧٨ ويبلغ ١٦٦ عملية عسكرية، والعام ١٩٨٠ وعددها ١٨٠ عملية، والعام ١٩٨٣ وعددها ٣٩١ عملية، وفي العام ١٩٨٥ تجاوزت ٨٥٠ عملية، وعدد العمليات العسكرية العام ١٩٨٧ كان ٣٣٠ عملية. وسيكتشف الذين يتصورون أن الانتفاضة قد الغت الكفاح المسلح أن مجموع العمليات العسكرية، في العام ١٩٨٨، بلغ ٢٩٦٨ عملية، من بينها ٢٣١٦ عملية القاء قنابل حارقة، و٣٤١ عملية استخدمت فيها الاشتباكات واطلاق الرصاص، بينما بلغ المجموع ١٨٣٦ عملية، في الأسبوع الأول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، بينها ١٤٦٢ عملية القاء قنابل حارقة، و١١٦ عملية اطلاق رصاص. ويعرف الذين يتابعون العمل الفلسطيني العسكري ان قراءة هذه الارقام تشير الى انتشار ما يسمّى بعمليات العنف المسلح، أي بتصاعد الكفاح المسلّح، وليس العكس. ولقد كان الحلم، دائماً، أن تصل الثورة الفلسطينية الى هذه المرحلة، حيث يقوم الشعب، كلّه، بالدور الذي تقوم به طلائعه المنظمة، وحيث يمكن لهذا الشعب ان يضع أسلحته، وأن يستخدمها، وأن يخوض معركة واحدة تجمع بين ايقاع الخسائر في قوات العدو وبين بناء القوة الذاتية وتنظيمها، وتلك سمة اساسية لحرب الشعب عامة، ولحرب الشعب الفلسطيني خاصة.

فوارق توصيف العدو الاسرائيلي

اهتم العرب بدرس، وتوصيف، العدو الصهيوني منذ أن بدأ مقدمات زحفه الى فلسطين. والذي يراجع مخزون الدراسات والبحوث المتعلقة بالعدو الصهيوني يمكنه أن يكتشف مسار نموها ونضجها كلّما ازداد هذا العدو وجوداً على أرض فلسطين، وخطراً فعلياً على محيطها العربي.

ولأن الخطر الصهيوني كان، وما زال، يشمل المنطقة العربية كلها، فان التداخل بين